الصحابة

١

أبو عبيدة بن الجراح

أمين الأمة

بقلم: نعمات إبراهيم

رسوم داخلية: منى جامع

الطبعة الثانية

دار المعارف

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

إبراهيم ، نصات .
أبو عبيدة بن الجراح أمين الأمة.
بقلم : نصات إبراهيم . ؛ رسوم داخلية : منى جامع .
- ط ٢- القاهرة : دار المعارف ،٢٠٠٧ .
٣٦ ص ؛ ٢٤ سم ./ (الصحابة ؛ ١)
تدمك ٥ - ٧١٤٦ - ٢ - ٠ - ٩٧٧ - ٩٧٨
١- الصحابة والتابعون.
٢- أبو عبيدة بن الجراح ، عامر بن عبد الله بن الجراح الفهرى ، ٥٨٤- ٦٣٩.
٣- القصص الدينية .
أ- جامع ، منى (رسام) . ب - العنوان . جـ - السلسلة

ديوى ٢٣٩,٩

رقم الإيداع ٢١٩٤٤ / ٢٠٠٧ ٦٠ / ٢٠٠٧ /٧

تصميم الغلاف
شريفة أبو سيف

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

الإسلام: «دينٌ حنيفٌ رَبَّى النفوسَ عَلى الطهْرِ.. والتقْوى.. وحسْنِ الخُلُق». ربَّى الإسْلام أبطالاً علمهم عَلى الكفَاح.. والدفاعِ عنِ الحَق.. وقد دَافعُوا عنِ الإسْلام ضِد أعدَائه بصِدْقٍ.. وشجَاعةٍ.. وإخْلاصٍ حتَّى رسَخت رسَالتُه وشريعتُه.

وقدْ قال الله (عز وجل) فى كتابه الحَكيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ (١) صدق الله العظيم

ومِنْ هؤلاءِ الرجَال الأبطال الذِينَ رفعُوا رايةَ الإسْلام عَاليةً.. ودافعُوا عنهَا دفاعًا مَجِيدًا.. القائدُ.. الزاهِدُ.. التقىُّ.. الورِعُ.. العفيفُ.. أبو عبيدةَ بنُ الجرَّاح (رضي الله عنه).

❁❁❁

أمين الأمة:

إنه البطلُ الفذُّ الذِى قادَ المسْلمينَ منْ نصْرٍ إلى نصْرٍ «عامرُ بنُ عبد اللهِ الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر».

أمه: أمامةُ بنتُ غنم بن جابر بن عبد العزيز بن عامرة بن عميرة.

---

(١) (سورة الأحزاب آية: ٢٣)

وأمها: «دعْد بنتُ هلال بنُ أهيْب بن ضبة بن الحارث بن فهر» .

نشأ أبُو عبيدة بنُ الجراح (رضي الله عنه) بعيدًا عنْ طباعِ أهلِ الجاهليَّةِ منْ ظلْمٍ أو طغْيان.. أو فسوقٍ أو عبادةِ الأصْنام.. كان شابًّا مسْتقيمًا ومفكرًا أمينًا.. اشتغلَ بالتجَارةِ.. وانتقل بينَ البلدَانِ.. واشتهرَ بينَ أصْحابهِ بالصِّدق.. والوفاءِ.. والأمانةِ.

تحت راية الإسلام:

كانَ فى الخامسَةِ والعشْرين منْ عُمره عندمَا اعتنقَ الإسلام..

وكان مشهورًا فِى قُريشٍ بالدَّهَاءِ والتفكِيرِ السَّلِيم.. وبعْد النظَر.. والحكْمة فى القرارَات.. وكانَ أبو بَكر الصِّديق (رضي الله عنه) قريبًا منْه ويعرِفُ عنه هَذِه الصِّفات. فعرَضَ عليه الإسْلامَ.. وأزالَ عنْ بصِيرَته غَشاوَةَ الشَّك وأرشَدهُ إلى أنوارِ اليقين.. وشرحَ له مزايَا الدِّينِ الجَدِيد.. وسَأله قائلاً:

يا ابنَ الجرَّاح هَل اهتدَى قلبُك للنُّور.. واهتدَى عقلُك إلى دعْوةِ محمدِ بنِ عبدِ الله (صلى الله عليه وسلم)؟

قال أبو عبيدة:

أجلْ يا أبا عبد الرحمن.. هيا بنَا نذهبُ إلى صَاحِبك.. فإنَّه يدْعُو إلى الخيرِ وإنه لرسُولُ الله حَقًّا.

ودخَل أبو عبيدةَ بنُ الجرَّاح (رضي الله عنه) فى دينِ الله (عز وجل) وكان ثَامنَ منْ أسْلم.. وصَاحبَ الرسول (صلى الله عليه وسلم) مصَاحبةَ الحبيبِ الكاملِ.. وظل الرفيق الدَّائم الوَفى.

لا إله إلا الله محمد رسول الله

ومنذُ بسَط أبو عبيدةَ بنُ الجرَّاح (رضي الله عنه) يمينه مبايعًا رسُولَ اللهِ (ﷺ) وهو لا يرَى فى نفْسِه.. وفى أيامِ حياتِه كلِّها سوَى أمانة استودعَه الله إيَّاها لينفقَهَا فى سَبيلِ مرضَاةِ الله ومرضَاةِ رسُوله. لا يجرِى وراءَ حظٍّ منْ حظوظِ الدنيا.. ولا تلْهبه فكرة دنْيوية عنْ سبيلِ الله ولا يندفعُ وراء رغْبةٍ شَخْصيةٍ.. لذلك استحقَّ تكريم الرسُولِ له حين أطلقَ عليْه لقبَ (أمين الأمَّة).. أهداه إليه الرسول حين قال (ﷺ):

أمينُ هذِه الأمةِ أبُو عبيدةَ بنُ الجرَّاح

ولسبب تسميتهِ بالقوِى الأمين.. قصة..

جاءَ وفدٌ منْ نصَارى «نجْران» (مدينة بالجزيرةِ العربيَّةِ واقعة بينَ الحجازِ واليَمن) ليجَادلُوا رسولَ الله (ﷺ) فى الدين.. ولكنهُم عدَلُوا عنْ ذلك بعدَ مَا شاهدُوا الآيات البينَات.. ومَالوا إلى المسَالمةِ. وذكرُوا للرسُولِ (ﷺ) أنَّ بينهُم خلافَات. وطلَبُوا أنْ يبعثَ معَهُم رجُلاً منَ المسْلمين (أمينًا) ليحْكُم بينهُم. فقال لهُمْ رسولُ الله (ﷺ):

- ائتونى العَشِية.. أبعثُ معكُم القوىَّ الأمِين.

فتطلعَ الصحابةُ منْ يكونُ هذَا الرجل الذِى فازَ برضَا رسُولِ الله (ﷺ) وتقْديره.. ووصْفه بهَذِه الصفةِ الكرِيمَة.

قال عمرُ بنُ الخطَّاب (رضي الله عنه):

- ذهبتُ إلى صَلاةِ الظهرِ مبكرا.. وإنِّى مَا أحببتُ الإمَارةَ حبِّى إياهَا يومئذٍ رجاءَ أنْ أكونَ صاحبَ هذَا النعْت. فلمَّا صَلَّى بنا رسُولُ اللهِ (ﷺ) الظهرَ جعَلَ ينظرُ عنْ يمينِهِ.. وعنْ يسارِهِ.. فجعلْتُ أتطاولُ له

ليرَانى.. فلمْ يزلْ يقلبُ بصَرَه فينَا حتَّى رأى أبا عبيدةَ ابن الجرَّاح فدعَاه فقال:

اخرج معَهم فاقْضِ بينهُم بالحقِّ فيمَا اختلفُوا فيه.

فقلْتُ: ذهبَ بهَا أبُو عبيدةَ بنُ الجرَّاح فهو أمينُ هذه الأمةِ كمَا قالَ رسول الله (ﷺ).

❁❁❁

الهجرة لحماية الدين:

صَحِبَ أبُو عبيدةَ بنُ الجرَّاح (رضي الله عنه) رسولَ الله (ﷺ) منذُ أعلنَ إسْلاَمه.. وتعرَّضَ كغيرهِ منَ المسْلمينَ الأوائلِ إلى أذَى قريْش.. واضطهادِهَا - فلم تتوقفْ قريشٌ عنْ ايذاءِ المسْلمين.. وملاحقتهِم.. والإضْرارِ بهمْ حتَّى ضاقَتْ بهم «مكة» ولمْ تعُدْ المكانَ المناسبَ لنشرِ الدعوةِ وحِمايتِهَا. وخشِيَ الرسُول على أصْحابه.. وعلى الدعوةِ ذاتِهَا وعندئذ أمرَ الرسُولُ الكريمُ (ﷺ) أصحَابَه بالهجْرةِ إلى الحبشَة، وقال لهُم إنَّ فيها ملِكًا عَادلاً لايقبلُ ظلْم أحد فى بلاَده.. وكانَ فى مقدمةِ المهَاجِرين عثمانُ بنُ عفَّان، والزبيْرُ بنُ العوَّام، وأبُو عبيدة بنُ الجراح، وعددٌ آخرُ منَ الصَّحابة وقد حمَلُوا إلى النَّجَاشى « ملكِ الحبشة » رسالةَ الإسْلاَم . . فرحَّبَ بهِم وطمْأنهم . . وآواهُم . . وجعلَهُم فى حمَايتِه.

خرجَ أبُو عبيدةَ بنُ الجرَّاح (رضي الله عنه) مهَاجرًا إلى الحبشَة مع ثمانينَ منْ أصْحاب الرسول (ﷺ) فرارًا بدينهم من اضطهادِ كفار قريْش لهُم.. ورغبةً فى أنْ يعبدُوا الله (عز وجل) فى أمْنٍ وأمَان.

وعندمَا عاد أبُو عبيدةَ بنُ الجرَّاح (رضي الله عنه) إلى «مكة» علم بأمر (بيعة العَقبة) واستعْداد الأنصَار لحمايَةِ مَنْ يهاجرُ إليْهم منَ المسْلمين ووجَد أنَّ كثيرًا منَ المسْلمين هاجرُوا إلى المدينَةِ حينَ أذِنَ لهُم رسولُ الله (ﷺ) بذلك.. فذهبَ إلى الرسُول (ﷺ) يستَشِيرهُ فأمرَه بالهجْرة إلى المدينةِ ليلحقَ بأصْحَابه فهاجرَ وتركَ وطَنه وأهلَه وأبَاه..

وعاشَ أبُو عبيدةَ بنُ الجرَّاح (رضي الله عنه) فى مجتمَعِ المدينةِ هانِئًا راضيًا منتظرًا وصولَ النَّبى (ﷺ) إلى المدِينَة. وبعدَ وصُول الرسول (ﷺ) وصَاحبه لم تنعَم المدِينةُ بالهدُوء فقدْ ظلَّت قريشٌ تلاحقُ المسْلمين فى دارِ هجْرتهِم.. وأخذَتْ تحرِّضُ عليهم القبائلَ المحيطةَ بهِم.. وتثيرُ الفتنَ بينَ سكانِ المدينةِ أنفسِهِم.

وظلَّتْ الصراعاتُ بينَ المسْلمين والمشركين تشتعلُ وتتزَايدُ حتى تحوَّلَت إلى مواجهَةٍ بينهمَا فِى ميادينَ الحرْب والقتَال. ودارتْ معاركُ كبيرة بينَ المسلمينَ والمشركينَ فى مواقعَ كثيرةٍ.. كانت بدايتهَا فى غزوَةِ «بدْرٍ» فى السنة الثانية للهجْرة. بعد أنْ نزلتْ على رسول الله (ﷺ) آياتُ الجهَاد.

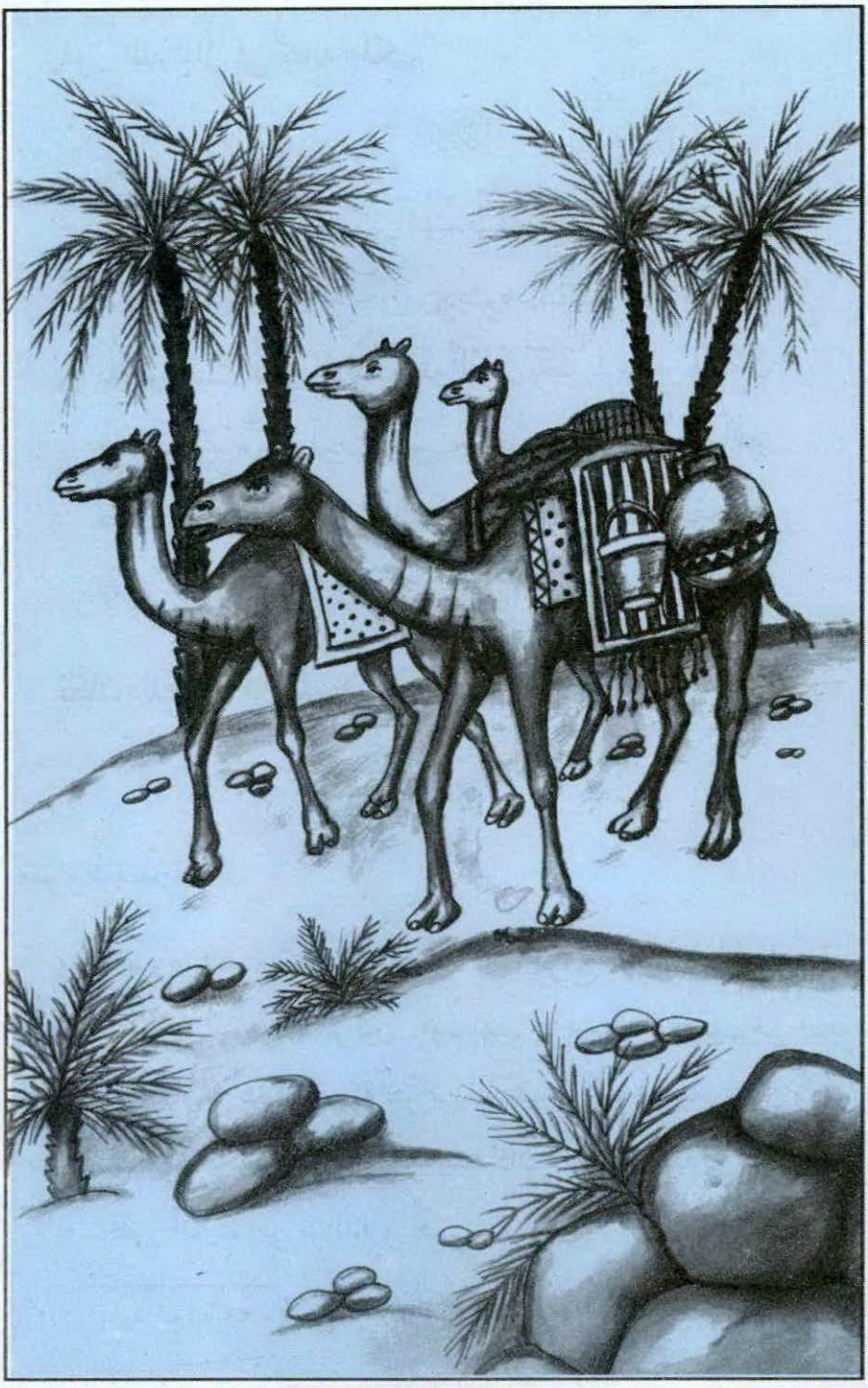

يقولُ الله تعالى فى كتابه الحَكيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (١) صدق الله العظيم

فكانَ ذلك إذنًا مِنَ الله للمؤمنين بقتالِ الكفار.

❁❁❁

غزوةُ بـدْر:

وفى غزوة «بدر» كانَ لأبى عبيدةَ بن الجرَّاح (رضي الله عنه) دَوْرٌ بَارِزٌ فى القضَاءِ على عـدَدٍ منَ المشْركين.. ولمْ يهتم بمَا يربطه ببعضِهم منْ صلَةٍ أو قرابة دمٍ.. وفى هذه المعركةِ تعرَّض أبو عبيدة لمِحْنةٍ قَاسية.. حين وجَدَ أبَاه فى صفوفِ الكفار وفى لحظَةٍ واحدةٍ كانَ عليْهِ المفاضلةُ بين عقيدتِه.. وأبيه.. فقررَ أنْ يضَحى بوالدِه ويحْمى عقيدَته.

(١) (سورة الحج آيتا ٣٩، ٤٠)

وهو يقولُ:

أبِى الإسْــلام لا أبَ لى سـوَاه إذَا افتخـروا بقيسٍ أو تمِيم

وكان همَّه الأول نصرةُ الدينِ الحَق.. أو الاستشهَاد فى سبيلِ الله (عز وجل).

فأنزلَ الله تعالى فى شأن أبى عبيدة وأبيه قرآنا.

قال تعالى فى كتابه الحكيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (١)

صدق الله العظيم

ويعتبرُ أبُو عبيدةَ بنُ الجرَّاح (رضي الله عنه) منَ القلائِلِ الذينَ ربَّاهم القائدُ الأكبرُ محمدُ بنُ عبد الله (صلى الله عليه وسلم).

لذلك كانَ يحاربُ عنْ عقيدَةٍ .. فكان كل عملِه لنصرَةِ دينِ الله (عز وجل).

---

(١) (سورة المجادلة آية: ٢٢)

وانتهتْ غزوةُ «بدر» بنصْر المؤمنين الصَّادقين.. ولكنَّ قريشًا لم تنسَ ثأرَهَا فجمعَتْ فلولَهَا لغزوةٍ أخْرى حاسِمَة.

❁❁❁

الأُثْرَم:

كانت المعركةُ الثانية هى معركَةُ «أُحُد».. جمعَ رسولُ الله (ﷺ) جيشَه.. ونظَّمه وألقى تعليمَاتِه، وجعلَ الرُّمَاةَ أعلى جَبَل «أحد» لحمايةِ ظهرِ المسْلمين.. وأمرَهم ألاَّ يبرحُوا أمَاكنهُم سواء فى حَالة النصْر أو الهزيمَة ودارَت المعْرَكة حامية على أرضِ وادِى «أحُد» على بعدِ عدَّةِ أميَالٍ منَ المدينة.. وفى بدايةِ المعْركة دارت الدائرة على المشْركين.. ففرُّوا هَارِبين.. فاعتقدَ الرماةُ أنَّ المعركةَ انتهتْ لصَالحِهم.. فتركُوا أمَاكنهَم وخالفُوا أمرَ رسولِ الله (ﷺ) فدارت الدائرةُ على المسْلمين.. وانفلتَ زمامُ المعركَة.. وانتهزَ كفارُ قريشٍ الفرصةَ للقضَاء على محمدِ بنِ عبد الله (ﷺ).. بعد أنْ شَاعت الفوضَى.. وسَادَ الاضطرابُ فى صفُوفِ المسْلمين.

وقد تنبه الصحابةُ إلى ما يهدفُ إليه المشرِكُون.. فالتفُّوا حولَ رسولِ الله (ﷺ) يدافعُون عنهُ بأرْوَاحهم وأجسَادِهم بشجاعَةٍ لا مثيلَ لهَا وكان أبُو عبيدةَ بنُ الجرَّاح (رضي الله عنه) ممَّنْ ثبتَ معَ رسولِ الله (ﷺ) ولمْ يفارقْه لحظَةً واحدةً.. مضحِّيا بنفْسِه ورُوحه فداءَ رسولِ الله (ﷺ) وظلَّ (رضي الله عنه) فى موْقفِه معَ منْ ثبتُوا منْ أصحابِ محمد (ﷺ) وفى إحْدى جَوَلاَته وصَوْلاَته بينَ صفوفِ الأعدَاء - كانت عيناهُ تتابعَانِ

حركةَ الرسول (ﷺ) وفجأةً يرَى سهمًا ينطلقُ منْ يدِ مشركٍ فيُصيب النَّبى (ﷺ) ويسِيل الدَّم على وجْهه.. فيسرعُ إليه أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ويطيرُ أبُو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) إليه ليمسحَ الدمَ عنْ وجهِهِ وهو يقول:

- كيفَ يفلحُ قومٌ خَضَّبُوا وجْهَ نبيهمْ وهو يدعُوهُم إلى ربِّهِم؟!

ورأى أبُو عبيدةَ بنُ الجرَّاح حلقتيْنِ منْ حلق «المِغْفَر» وهو الغطاءُ الذى يضَعُه الرسول (ﷺ) ليحمىَ به وجْهَه ورأسَه أثناءَ الحرْب - قد دخلاَ فى جبينه.. فلمْ ينتظِرْ أو يتردد، واندفعَ يقبضُ بثنايَاه على حَلَقة منهمَا حتى نزعَهَا منْ جبهَةِ الرسول (ﷺ) فسقطَت ثنيتهُ.. وسقطَ على الأرضِ.. ثم نزعَ الحلقةَ الثانيةَ.. فسقطتْ ثَنِيَّتُه الثانيةُ.. وسقطَ على الأرضِ.. فكانَ يُرَى بينَ الناسِ ساقط الثنيتين.. فيقالُ له «الأثرَم» (أى الأهْتَم).

وكان يقالُ عنْ أبى عبيدةَ بن الجرَّاح (رضي الله عنه):

- ما رأينَا فى الناسِ أحسن «هتما» منْ أبى عبيدة

ومن بعضِ صورِ جهادهِ فى سبيلِ نشْر الدعْوة:

سرية ذى القصة:

بعثَ رسول الله (ﷺ) أبَا عبيدةَ بن الجرَّاح (رضي الله عنه) فى أربعينَ رجلاً إلى مَنْ بذى (القصة) حين بلغه (ﷺ) أنهم يُرِيدون الإغارةَ على (المدينة)

فصَار إليهم ليلاً.. ووصَل إلى (ذى القصَّة) مع تباشيرِ الصَّبَاح.. فأغار على القومِ ففرُّوا هَارِبينَ إلى الجبَال.. وتركُوا ديَارَهم وأمتعتَهُم.. فحملهَا أبُو عبيدةَ بنُ الجرَّاح (رضي الله عنه) إلى رسولِ الله (ﷺ).

غزوة الخَبَط:

بلغَ النبىَّ (ﷺ) أنَّ حيًّا منْ جهينَةَ على ساحلِ البحر الأحمر يقطعُ الطريقَ على المسْلمين.. فأرسلَ إليه أبَا عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) على رأسِ ثلاثمائة مجَاهد فيهم عمرُ بنُ الخطاب (رضي الله عنه).. وليسَ معهُم منْ زادٍ سوى جرَاب تمْر والمهمةُ صعْبة.. والسفرُ بعِيد..

استقبلَ أبُو عبيدةَ بنُ الجرَّاح (رضي الله عنه) واجبَه فى تفانٍ وغبْطَه.. وراحَ هو وجنودُه يقطعُون الأرض.. وزاد كلُّ واحدٍ منهُم - طوال اليوم - حفنَة تمرٍ حتَّى أوشك التمر أن ينتهِى.. فصارَ نصيبُ كلِّ واحدٍ منهم تمرَة فى اليومِ بأكْمله وطالَ بهِم المقامُ حتَّى نفد التمْر فراحُوا يجمعُون «الخَبَط» أى ورَق الشَّجَر - فيسحقُونه.. ويُسفُّونَه ويشربُون عليهِ الماءَ منْ أجْلِ هذا سُمِّيَتْ هذه الغزوة «بغزوَة الخَبَط».

ولم ييأس أبُو عبيدةَ بنُ الجرَّاح (رضي الله عنه) بل رفعَ يديْه إلى السمَاءِ قَائلاً:

- اللهم ارزقنَا رزقًا حلالاً طيبًا منْ عندك.. فأرسَلَ الله (عز وجل) إليهم حوتًا ضخْمًا.. فأكلُوا منه وشبعُوا.. وأخذُوا بعضَه معَهم إلى «المدينة» عند عودَتِهم منتصِرين.

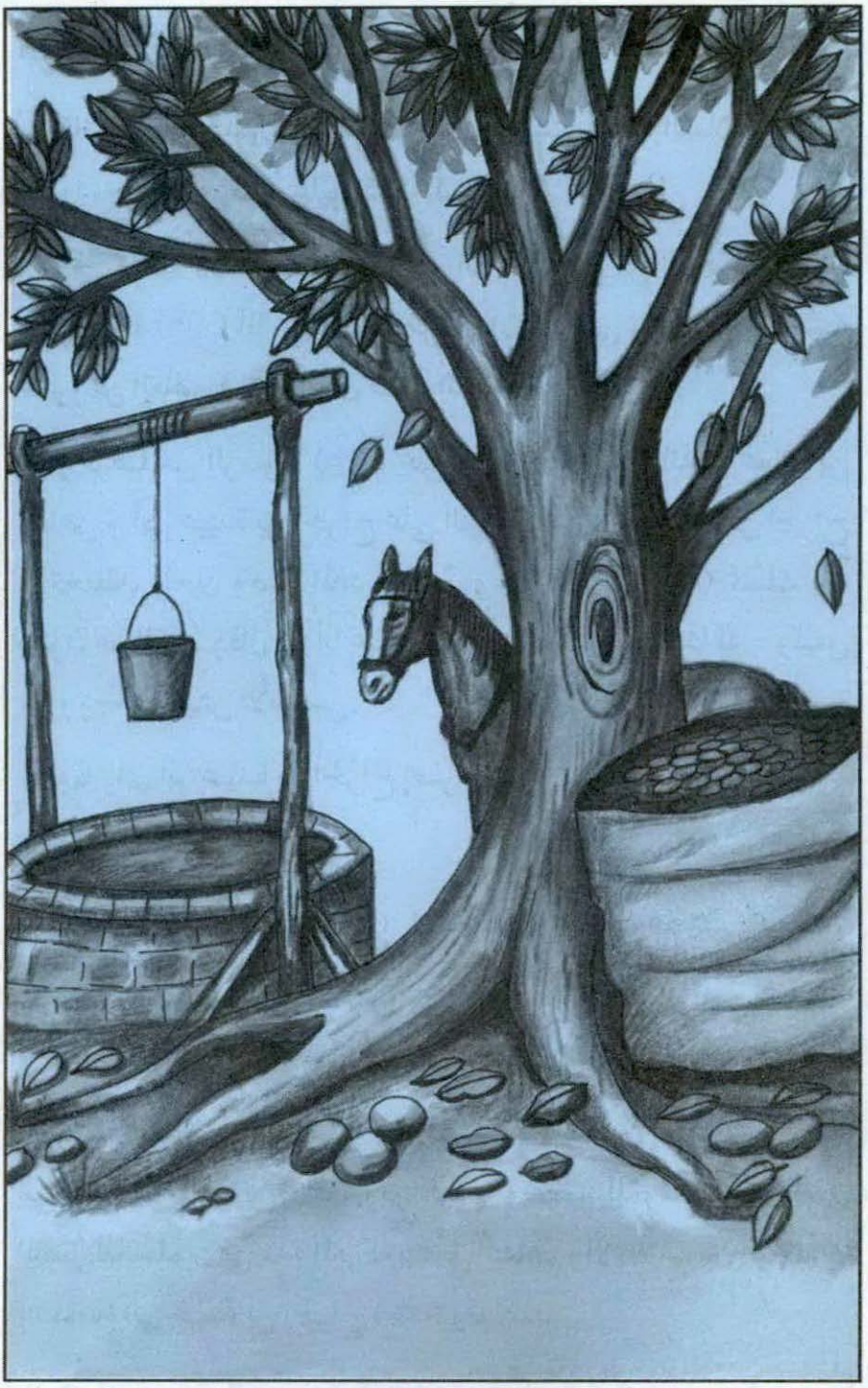

موقعة ذات السلاسل:

كانتْ بينَ المسْلمين وقبيلةِ قُضَاعَة، وسُمِّيَتْ بذاتِ السلاسِلِ لأنهم التقوا بجوارِ آبار يطلقُ عليها ذاتُ السلاسِل.

وفى موقعة «ذات السَّلاَسِل» فى العام الثامن من الهجرة.. أرسَل رسولُ الله (ﷺ) أبَا عبيدةَ بن الجرَّاح (رضي الله عنه) على رأسِ جيشٍ لنصْرةِ عَمْرو بن العاص (رضي الله عنه) الذى طلبَ النجدةَ منَ الرسُول (ﷺ).

وحرصًا منَ الرسول (ﷺ) على عدَم اختلافِ القائدَيْن عَمْرو بن العاص و أبى عبيدة بن الجراح على القيَادَة. قال لأبى عُبيْدة بن الجراح لا تختلفا، وحينَ وصل المدد إلى عمْرو بن العاص (رضي الله عنه) تمسَّكَ بأنْ يكونَ هو القائدُ وقال إن أبا عبيدةَ ابنَ الجراح قد جاء مدَدًا له – وليس هو ورجَاله الجيش الأَسَاسى.

ولما رأى أبُو عبيدةَ بنُ الجرَّاح إصرَارَ عمْرو بن العاص على القيادَةِ قال له:

– لقدْ قالَ رسولُ الله (ﷺ): لا تختلِفَا، وإنك إن عصيتَنِى أطعْتك.

وسلّمَ قيادَة الجيشِ إلى «عَمْرو بن العاص» (رضي الله عنه) فى تواضُعٍ شَدِيد.. وحُبٍّ للخيْر.. والمسَالمة منْ أجلِ نصْرةِ دينِ الإسْلام.

وقام عمرُو بن العاص (رضي الله عنه) فصَلَّى بالمسْلمين إمامًا.. بين رضَا أبىعبيدةَ بنِ الجرَّاح (رضي الله عنه) وموافقته.. وتفهُّمه للموْقف. وقدْ تحققَ النصرُ للمسْلمين فى هَذِه المعركة بفضْلِ التفاهُم والائتِلاَفِ بينَ الرجُلَيْن، وتسَامحِ أبى عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) وتواضعِه.

فاتح الشام:

وينتقلُ الرسول (ﷺ) إلى الرفيقِ الأعلى.. ويجتمعُ المسلمُونَ المهاجرُونَ والأنصَارُ فى «سقيفةِ بنِى سَاعِدَة».. لاختيارِ خَلِيفة لهُم وتتعَّددُ الآرَاء.. وتختلفُ الأقوالُ حوْل مَنْ يستحقُّ الخلافةَ فيرَى المهاجرُونَ أهل «مكَّة» أنهُم أولَى بالخلَافة.. ويرَى الأنصارُ أهل «المدينة» أنْ تكونَ الخلافةُ لهُم.

وطالَ النقاشُ.. واشتدَّ الجدالُ بينَ الحَاضرِين.. فوقفَ (أبو بكْر الصِّديق) (رضي الله عنه) وقَال:

أيها الناسُ هذَا عمرُ بن الخطَّاب (رضي الله عنه).. وهذا أبُو عبيدةَ بنُ الجرَّاح (رضي الله عنه)، وأيهمَا شئْتُم فبايعُوا.

ويرفضُ عمرُ بن الخطاب (رضي الله عنه).

ويقفُ أبُو عبيدةَ بنُ الجرَّاح موجهًا خطَابه لأبِى بكرٍ الصديق (رضي الله عنه) ويقول:

إنكَ لأفضلُ المهَاجرين.. وثانى اثنين إذ همَا فى الغارِ..

ثم ذكّرَ الناسَ بمواقفِ أبى بكْرٍ الصديق (رضي الله عنه) فى سبيلِ نصرةِ دينِ الإسْلام، والتضحيَةِ بنفسِه ومالِه لحمَايتِه..وصحْبته لرسُول الله (ﷺ) يـوم الهجْرة وتركِه لبيته.. وأوْلاده.. ونبههُم إلى أنَّ الرسولَ (ﷺ) قد كلَّفه بأداءِ الصَّلاة نيابةً عنْه- أثناءَ مرَضِه- فكيفَ يرضَاهُ رسولُ الله (ﷺ)

لدينه.. ولا نرضاه لدنيانا.. ثم قامَ فبايعَ أبا بكرٍ الصديق وبايعه جميعُ الحاضِرين خليفةً بعدَ رسُولِ الله (ﷺ).

وهكَذَا قضَى أبُو عبيدةَ بنُ الجرَّاح (رضي الله عنه) بحكْمته على الخلافِ الذى شبَّ بعْدَ وفاةِ رسول الله (ﷺ).. وبذلك ضَمِنَ وَحدةَ المسلمينَ وتآلُفهم..

ولَّما استقرَ الأمرُ فى جزيرَةِ العربِ بعْدَ هزيمَةِ أهْل (الرِّدَّةِ) اتجه أبُو بكر الصديق (رضي الله عنه) إلى الشام والعرَاق.. فعقدَ أربعةَ ألْوِيَةٍ لأربعَةِ أمرَاء.. وسيرهُم جميعًا إلى الشام.. وحددَ لكلِّ أميرٍ وجْهته.. ورسمَ لهُ خطَّته. وهؤلاء الأربعة هم:

أبُو عبيدةَ بنُ الجرَّاح (رضي الله عنه) ووجهتُه حمْص.

وعَمْرُو بنُ العاص (رضي الله عنه) ووجهته فلسطين.

ويزيدُ بنُ أبى سفيان (رضي الله عنه) ووجهته دمشْق.

وشرحْبيل بنُ حَسَنة (رضي الله عنه) ووجهتُه الأرْدن.

وقد وقفتْ تلك الجيوشُ فى انتظارِ المَواجهةِ معَ الجيوشِ الرُّومانية الجرَّارة بالشام. وعلم أبُو بكر الصديق (رضي الله عنه) أنَّ قيْصَرَ الروم يستعدُ بجَيْشٍ كبيرٍ فى «أنطاكية».. وجيْشٍ آخر بجوَارِ «بيتِ المقْدِس».. ويبلغُ عددُ الجيشِ الأولِ أكثر مِنْ مائتى ألف مقاتِل.. وعَدد الجيْش الثانِى نحوَ سبعِين ألفًا.. بينمَا عددُ جنودِ المسْلمين لا يزيد على أربعينَ ألف مجَاهد.

وأحسَّ الخليفةُ أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) بالخطَرِ على جُيُوشه بالشامِ فطلبَ منهُم ألاَّ يتفرقُوا.. وأن يجتمعُوا فى مكَانٍ واحدٍ لمواجهَةِ العدو.. فاتجهُوا إلى وادِى اليرمُوك - اسم نهر بفلسطين - وظل كلُّ أميرٍ مستقلاً بإمارةِ جيشِه.. ثمَّ كتبُوا إلى الخَليفة (أَبى بكر الصديق) (رضي الله عنه) يطلبُونَ المددَ لقلةِ عدَدِهم بالنسبة لعدَدِ جيوشِ الرُّوم. فكتبَ أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) إلى خالد بن الوليد (رضي الله عنه) أن يتركَ ما تحتَ يدهِ فى العرَاق «للمثنَّى ابن حَارِثَة الشيْبانى» ويتجه إلى (اليرْمُوك) وكان اسم خالد بن الوليد (رضي الله عنه) قد لمعَ وأشرقَ فى حروبِ (الردَّة) بالجزيرَةِ وفى حرْب (فارِس) بالعرَاق.

وأسرعَ خالدُ بنُ الوليد (رضي الله عنه) إلى الشام.. وكان أَبُو بكْر الصديق (رضي الله عنه) قدْ أرسَلَ إلى أبى عبيدَة بن الجراح يخبرُه أنَّ القيادةَ ستكونَ لخالد ابن الوليد وقد رحَّب أبو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) بخَالدَ بن الوليد (رضي الله عنه) وسَلَّمَ إليه زمامَ القيادةِ فورَ وصُولِه إلى أرضِ المعرَكَة. ووافقَ وصُول خالد بن الوليد (رضي الله عنه) قدُوم (باهان) أمير جيوش الروم.. وقدْ سيَّر أمَامه الرهْبَان.. والقسَاوسة يحضُّون الرومَ على القتَال.. فاستبشَرَت الرومُ (بباهان) وفرِحَ المسلمُون بخالد بن الوليد (رضي الله عنه).

واقترحَ خالدُ بنُ الوليد (رضي الله عنه) على الأمراءِ توحيدَ القيَادةِ ليلقَوْا الرومَ صفًّا واحدًا.. على أنْ تكونَ القيادةُ كلَّ يومٍ لأمِير.. وطلبَ منهُم أنْ يجعَلُوا له اليومَ الأولَ فى الإمَارة.. فاستجابُوا له.

ثُمَّ دَارتْ معركةُ (اليرموك) بين المسْلمين والرُّوم.. وكانت معرَكة رهِيبة تراوحَ فيها الأمرُ بينَ النصْرِ والهزيمَة.. وسقطَ فيهَا الكثيرُ منَ القتلى والجرْحى مِنَ الجَانبين.. وقد تجلّت فى هَذِه المعْركةِ شجاعةُ المسْلمين واستبسَالهم فى سَبيلِ دينِ الحَق.

وكانَ أبُو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) نعْمَ الجنْدىُّ معَ رجَاله.. يقودُهُم قيادةً مظَفرةً تحتَ لوَاءِ خالد بن الوليد (رضي الله عنه).. لا يهمُّه أنْ يكونَ جنْديا.. أو قائدًا وإنمَا كلُّ مـا يهمُّه أن يتحققَ النصْر للإسْلام والمسْلمين. حدثَ فى ليلةِ الاستعدَادِ للمعْركةِ الفاصِلَةِ بينَ المسْلمين والـرُّوم أنْ وصلَ بريدُ (المدينة) بخبرٍ غيرِ متوقع. فقدْ تلقَّى أبُو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) رسالةً مِنْ عمَرَ بنَ الخطاب (رضي الله عنه) يخبرُه بوفَاةِ أبى بكر الصديق (رضي الله عنه).. وبأنه قدْ أصبحَ الخليفةَ.. منْ بعْده.. ويعلمه أنَّهُ قد اختارَه ليكونَ قائداً للجيُوشِ الإسْلاَمية بدلاً مِنْ خالد بن الوليد (رضي الله عنه).

ماذَا يفعَلُ القائدُ البطلُ أبُو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) وهو يرَى خالدًا مشغُولاً يستعدُّ للمعْركة.. وينظمُّ الصفُوف.. ويرتبُ الجنْد. ويرسمُ الخططَ لمهاجمَةِ جيوشِ الروم بينَ لحظةٍ وأخْرى؟

وهداهُ تفكيرُه ورجاحَـةُ عقْله إلى أنْ يكتُمَ الخبرَ حتى تنتهى المعرَكةُ. وطلبَ منَ الرجـلِ الذى حملَ الرسَـالةَ مِنَ (المدينة) أنْ يكتـمَ الخـبرَ ولا يتحدَّثَ عنْ عزْل خالد بن الوليد منَ القيادة.. ووضعَ الكتابَ فِى كنَانته.. واندفعَ إلى ميدَان القتال.

ولقدْ أتم الله (عز وجل) النصرَ للمسْلمين.. وانهزَمَ جيشُ الروم الضخم.. وعدده وألْويته.. أمامَ شجَاعةِ المسْلمين.. واستبسَالهم المُميت.. وإيمَانهم القوى بنصْرِ الله (عز وجل) وتأييدِهِمْ.

وطارتْ أخبارُ انتصارِ المسْلمين فى «اليرموك» إلى جميعِ أنحَاءِ العَالم.. فهىَ معْركةٌ تهمُّ الناسَ فِى كلِّ مكَان.. حيث يتوقفُ عليهَا مصيرُ كثيرٍ منَ الدولِ والشعوبِ فى الشَّام.. وغيرِ الشَّام.

وبعد انتهاءِ المعْركةِ تقدمَ أبُو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) إلى خالد بن الوليد (رضي الله عنه) وسلَّمه رسالةَ أميرِ المؤْمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

وحينَ قرأ خَالد الرسَالةَ ترحَّمَ على أبى بكر الصديق (رضي الله عنه) وقال لأبى عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه):

يرحمُك الله يا أبا عبيدة.. ما منعَكَ أنْ تخبرَنى حينَ وصَلتك الرسَالة؟

فقالَ أبُو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه):

إنى كرهْتُ أنْ أكسرَ عليك حربك . . ما سلطانُ الدنيا نُريد . . ولاَ للدنيا نعمَل . . وكلُّنا في الله إخوَة.

وسلَّمَ خالدُ بنُ الوليد (رضي الله عنه) القيادةَ لأبى عبيدةَ بن الجراح (رضي الله عنه) بنفْسٍ رَاضِيةٍ.. ومحَبَّةٍ خالصَة.. وأعلَن أنَّهُ سيصبحُ جنديًّا مخْلصًا وفيًّا تحتَ قيَادته، فقدْ كان أبُو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) خيرَ منْ يصلحُ للمرحَلَة التالية التى سيكُونُ فيها الاتجاهُ الغالبُ إلى المسَالمة.. والمصَالحَة..

تسلَّمُ أبُو عبيدة بنُ الجراح (رضي الله عنه) القيادةَ مِنْ خالد بن الوليد (رضي الله عنه).. ثم واصَل فتوحَاتِ الشام.. وقد تمتْ أكثرُ الفتوحَاتِ عنْ طريق السلْم.. ولَمْ يجدْ مِنْ خالد بن الوليد إلا المَعاونَة.. والحبَّ الصَّادقَ والمشُورَةَ السَّليمة.

❁❁❁

الإسْلام فى دمشق:

ذهبتْ جيوشُ الروم إثْر هزيمتهَا فى معركةِ «اليرمُوك» إلى دمشْق فتحصَّنتْ بهَا.

وسارَ إليهم أبُو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) فى جيشِه.. ومعَه أمراءُ الأجنَاد وخالدُ بنُ الوليد تحت قيادَته وَلهُ نَفْسُ المكانَةِ التى كانَ يحْظَى بهَا فى نظَرِ أبى عبيدة.. وتقديره.. ومنْ أجْلِ ذلك جعَله على رأسِ فرقةٍ منَ الجيشِ علىَ أحدِ أبوَاب دمشق أثناءَ حصَارها الذِى طالَ قرابةَ سِتة أشهُر..

كان خالد بن الوليد (رضي الله عنه) دائبَ اليقظَة .. شديدَ الحَذر .. لا يغفلُ لحظةً بينَ الحينِ والحينِ يرسِلُ عيونَه ويلتقطُ الأخبَار .. فعلِمَ أنَّ للروم عيدًا مقدسًا يشربُون فيه الخمرَ .. ويكثرُون مِنَ اللَّهوِ والغفلَة. فأعَدَّ خالدُ بنُ الوليد للأمرِ عدته وهاجمَ أسوارَ المدينَةِ وفتحها بالقوَّة.

ولَّما رأى الروم ذلك سَارعُوا إلى البابِ الذى يلى أبَا عبيدة بن الجراح ففتحُوه.. وعرضُوا عليه الصُّلْحَ وهو لا يعلمُ بمَا فعلَ خَالِد، فاستجَابَ لهُم. . ووعدَهُم بذلك ، وحينَ وصَل خالدُ بنُ الوليد (رضي الله عنه) كان أبوعبيدة بن الجراح قَدْ أعطَى كلمَتَه للقوْم.. فطلبَ منهُ ألاَّ يقبل صلحهُم لأنه فتحَ المدينَةَ بالقوة.. ولكنَّ أبا عبيدة رفضَ أن يغيرَ كلمتَه.. ويخلفَ وعدَه.. وأتمَّ الصلحَ معَ القومِ على المدينةِ كلِّها.

كانت شهرةُ خالد بن الوليد الحربية قدْ سبقته إلى البلاد.. وتحدثتْ بها الأقاليمُ كلُّها.. كذلِكَ فإن شهرةَ أبى عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) فى الحلْمِ.. والرفْق.. واللِّين.. وسعَةِ الصَّدر.. والتسامُح.. وحبِّ الإسلام قد سبَقتْهُ كذلِكَ إلى أهْلِ الشامِ.. فأحبُّوه.. ويسرُّوا لهُ مهمتَه. وكانَ منْ أثرِ ذلك أنْ كثُرت المصالحاتُ بينَه وبينَهُم.. وحقنت الدمَاء.. وهدأت النفُوس.. ورحبُوا بعدْله.. واستقامَته.. وحلْمه.. وانحَازُوا إليْه شَاكِرين له تخلِيصهم منْ قَسْوةِ حُكْمِ الروم وظلمهِم.. ومنْ ضرائبِهم الفادحَة..

وتمَّ فتح عَوَاصِم الشام الكبرَى على يدِ أبى عبيدة بن الجراح صلحًا.

❁❁❁

واقعة مَرْج الروم:

عزَّ على (هِرَقْل) ملك الروم أنْ تخرجَ الشامُ منْ قَبْضته.. وأنْ يستقِلَّ بهَا العرَب.

فجمعَ جيشًا كبيرًا أمَّرَ عليه (تيُودُورا) البطْرِيق .. فسار حتَّى نزَل (مرْج دمشْق) .. فتوجَّه إليه أبُو عبيدة بنُ الجراح (رضي الله عنه) ومعَه خالد

ابن الوليد (رضي الله عنه) وغيره منْ أمرَاء الأجنَاد .. حتى نزَلُوا بجوَارِه (بمرْج الروم).

وفى نفسِ اليومِ وصلَ مددٌ إلى العدُو بقيادة (شنس) الرومى يضَاهى عددُه عددَ الجيشِ الأول .. فوقف أبو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) فى مواجهَةِ (شنس).. ووقفَ خالدُ بنُ الوليد (رضي الله عنه) فى مواجهَة (تيودُورا)..

ولَّما كانَ صبَاحُ اليومِ التالى.. اكتشفَ المسْلمونَ أنَّ (تيودورا) رحَل بجيشِه كلِّه.. ولمْ يلبثُوا أنْ علمُوا أنَّه ترَك (شنس) وجيشَه لكىْ يشغلَ المسْلمين بينما ذهَبَ هُوَ وجيشُه إلى دمشق ليفتحهَا.. فاتفَقَ أبو عبيدة ابن الجراح (رضي الله عنه) معَ خالد بن الوليد (رضي الله عنه) على أنْ ينْسحبَ بجيشِه فورًا ليلحقَ (تيودورا) ويحُول بينَه وبينَ غرضِه.

وسَار خالد بن الوليد (رضي الله عنه) حتى لحِقَ (تيودورا) قريبًا منْ دمشْق، فهجَم على مؤَخرةِ الجيْش.. وهجم المسْلمونَ الذين كانُوا علَى حَاميَةِ دمشْق على مقدمَةِ الجيْش.. وهكَذا وقعَ «تيودورا» بينَ شقَّىْ الرحَا فَقُتِلَ وأبيدَ جيشُه بالكَامل.

أمَّا أبُو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) فقدْ هجمَ على (شنس) فهزمَه هزيمَةً منْكَرَة.. وقضَى عليهِ قضَاءً تامًّا.

وكانَ نصرُ المسْلمين عظيمًا فى هذِه الواقعَةِ ومغَانمِهمْ كَثِيرة.

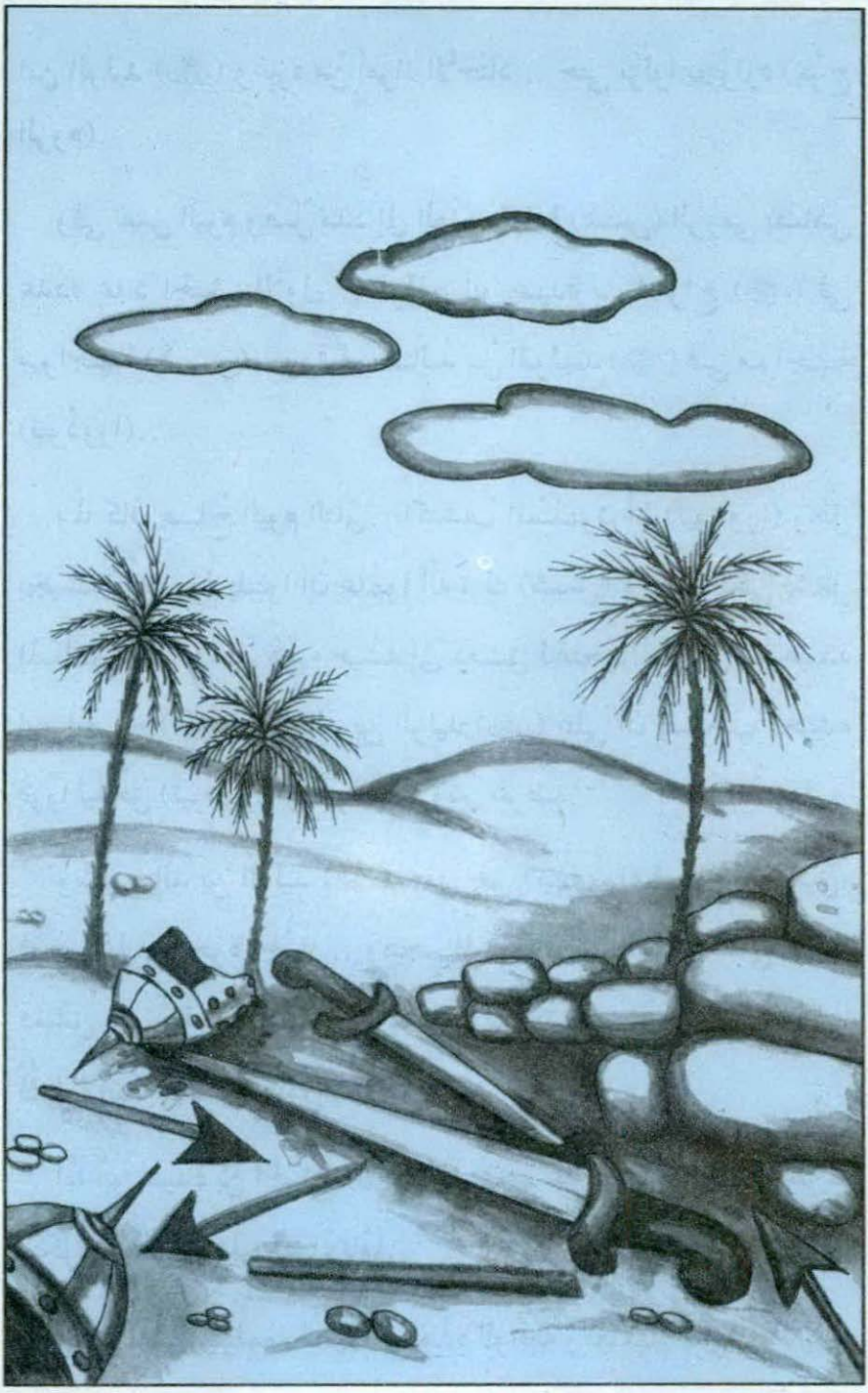

الآخرةُ خيرٌ وأبْقَى:

تكاملَت فى أبى عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) كلُّ الأخْلاقِ والسماتِ الفاضِلةِ منْ صدْقٍ.. وأمَانة.. ووفَاء.. وعفة.. وزُهْد.. وتواضُعٍ..

مَا أحبَّ الدنيا يومًا.. ولمْ يأبه لهَا أو يهتَمَّ بها..

أرسَلَ إليه أميرُ المؤْمِنين عمرُ بنُ الخطاب (رضي الله عنه) يومًا أربعةَ آلافِ درهم.. وقال لحَامِلهَا: انظرْ ما يصنَعه فيها.. فلمْ يقُمْ أبُو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) منْ مجْلسه إلاَّ وقدْ قسمَهَا كلَّها على الفقَراء، فبلغَ ذلك أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطاب (رضي الله عنه) فقال:

«الحمدُ لله الذى جعَل فى الإسْلام منْ يصنعُ هذا».

ولكَم تمنَّى الفاروقُ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنْ يرزقَ برجَالٍ مثل أبى عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه).. قال يومًا لجلسَائه تمنُّوا.. فتمنوا.. فقالَ عمر (رضي الله عنه): (لكنِّى أتمنَّى بيتًا ممتلئًا رجالاً مثلَ أبى عبيدة).

ولَّما قَدِمَ أميرُ المؤْمِنين عمرُ بنُ الخطاب (رضي الله عنه) إلى الشَّام.. استقبلَهُ أمراءُ الجيُوشِ.. وعظماءُ البلَدِ.. ولمْ يكُن معَهُم أبُو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه). فسألَ عنه عمرُ بن الخطاب (رضي الله عنه): (أينَ أخِى)؟

قَالُوا: منْ أخُوك؟

قال (رضي الله عنه) أبُو عبيدة بن الجراح .

قالُوا: يأتيكَ الآن.

وجاءَ أبُو عبيدةُ بنُ الجراح (ﷺ) فقابلَه عمرُ بنُ الخطاب (ﷺ) بالترحَابِ وعَانقه.. وسارَ معَه إلى بيْتِه.. فمَاذَا وجَد أمِيرُ المؤمنينَ «عمر» (ﷺ) فى بيتِ أبى عبيدة بن الجراح (ﷺ)؟ وهوَ الوالِى على الشام؟

لَمْ يجِدْ عمرُ بنُ الخطاب (ﷺ) فى بيْتِ أبى عبيدة بن الجراح (ﷺ) إلا سيْفَه.. وترسَه.. وقربة بهَا مَاء.. ورَحَله (أى الأشياء التى تلزمُ الارتحال منْ مكانٍ إلى مكان).

فقالَ له أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطاب (ﷺ):

– ألا اتخذْتَ مثلَ ما اتخذَ أصحَابك يا أبا عبيدة؟

فأجَابه أبُو عبيدة قائلا:

– يا أمير المؤمنين.. هذَا يبلغُنِى المقبل، (أى يكفِينى لآخرِ الحياة).

ونظرَ الفاروقُ عمر (ﷺ) إلى جنباتِ البيت.. فرأى مَا هو عليْهِ منْ شَظَفِ العيش.. وشدَّةِ الحياةِ وقسْوتها.. فتأملَ قائلا:

– (كلُّنا غَيَّرَتْهُ الدنيا إلاَّ أنتَ يا أبَا عُبَيْدَة!).

وهكذَا عَاشَ أبُو عبيدة بن الجراح (ﷺ) مجاهِدًا.. زاهدًا.. تقيًّا.. متواضعًا.. يعرفُ حقَّ اللهِ عليه نحوَ نفسِه.. ونحْو دينِه.. ونحوَ أمتِه.. فاستحقَّ أنْ يكونَ مِنَ العشْرَةِ المبشرِينَ بالجَنَّة.

طاعون عمواس[1]:

ظلَّ أبُو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) يقودُ جيوشَ المسْلمين منْ نصْرٍ إلى نصْرٍ حتَّى فتحَ الله (عز وجل) على يديْه كلَّ بلاد الشام.

ومنْ مواقِفِه الخَالدة.. أنه أثناءَ فتوحَاتِه للشام.. أتمَّ اللهُ (عز وجل) عليْه نعْمَتَه.. وعقدَ صُلْحًا معَ أحدِ قوادِ الروم.. فجاءُوه بطعَامٍ فاخرٍ..

وقَالُوا:

- (هذا طعَامُ الأميرِ).

فقال أبُو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه):

- هل أطعمْتُم الجندَ مثلَ هذَا الطعَام؟

قالُوا:

- لا.. لم يتيَسَّرْ لنا ذَلِكَ.

فقالَ أبُو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه):

- فلا حاجةَ لنا فيمَا يقتصرُ علينا وحدنا منْ ألوَانِ الطَّعَام .. وبئْسَ المرءُ أبُو عبيدة أنْ صحبَ جندًا منْ بلادِهِم أهرقُوا دمَاءهم دونه .. أو لَمْ يهرقُوا .. فأستأثرَ بشيءٍ يصبْه بمفْرَده .. لا واللهِ لا نأكلُ إلاَّ مَا يأكلُون.

---

(١) عمواس: بلدة بفلسطين .

فقالَ قائدُ الرُّوم:

– بهذَا انتصرْتُمْ علينا .

ولقدْ بقَى أبُو عبيدة بنُ الجراح (رضي الله عنه) معَ جنْدِه بالشـام . . يعيشُ كما يعَيشُون ويأكلُ ممَّا يأكلُون.. ويعانِى ممَّا يعَانُون.. وإذا أخذَ حصَّته من الغنائِم قسَّمها بينَ جُنُوده.. واكتفَى بلُقيْمَاتٍ.

حدثَ أنْ دهمَ بلاَدَ الشام (طاعُونٌ) شَدِيد.. جعلَ يحْصُد النـاسَ حصْدًا.. وخَشِىَ عمرُ بنُ الخطاب (رضي الله عنه) على أبى عبيدة بن الجراح من المرَض والعدْوى.. فكتبَ إليه كتابًا يستقدمُه إلى المدينة.. ويقولُ فيه:

سلامٌ عليكَ.. أمَّا بعْد..

فإنه قد عرض إليك حاجَة أريد أن أشافهَكَ فيهَا.. عزمْتُ عليك إذا نظرْتَ إلى كتابِى هذَا ألاَّ تضعه مِنْ يدِك حتى تقبلَ إلىَّ، والسلام.

فكتبَ أبُو عبيدة إليه يقُول:

يا أميرَ المؤْمنين لَقَدْ عرفتُ حاجتَك إلىَّ وإنى فى جنْد المسْلمين لا أجدُ رغبةً فى أنْ أحفظَ نفسى ممَّا يُصِيبهم.. ولستُ أريدُ فرَاقهم حتى يقضِىَ الله (عز وجل) فِىَّ وفيهم قَضَاءه.. فحللنى منْ عزْمتك يا أميرَ المؤمنِين. ودعْنِى وسط جنْدى.

ولمْ يقْبل أبُو عبيدة بن الجراح أنْ يفارقَ جنْدَه.. ويعيشَ بعيدًا عنْهُم حمَايةً لنفسِه منْ مرَضِ (الطَّاعُون) الذى عَمَّ بلاَدَ الشام.

ثم مَا لبثَ أبُو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) أنْ أصِيبَ بالطَّاعون.. فلمَّا حضَرتْه الوفَاة.. أوْصَى جنْدَه قائلاً:

«إنِّى مُوصِيكُم بوصِيَّةٍ إنْ قبلتموهَا لنْ تزالُوا بخَيْر: أقِيمُوا الصلاة.. وآتُوا الزكَاة..وصومُوا شهرَ رمضَان.. وتصدَّقُوا..وحجُّوا واعتمِرُوا.. وتواصُوا.. وانصحُوا لأمرَائكُم.. ولا تغشُّوهُم.. ولا تلهكُم الدنيا.. فإن المرءَ إنْ عاشَ ألفَ سنةٍ ما كانَ له بد منْ أنْ يصيرَ إلى مصْرعِى هذَا الذى ترَوْن.. كتب الله (عز وجل) الموتَ على بَنِى آدَم.. فهُم ميِّتُون.. وأكيسهم أطوعهم له وأعلمهُم ليومِ معَادِه، والسلام عليكم ورحمةُ الله وبركاته»..

كان أبُو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) عظيمًا فى كلِّ شَىْءٍ.. صَادِقًا.. زاهدًا.. عفيفًا.. تقيًا.. ورعًا.. متواضعًا.. تكاملتْ عندَه الأخلاقُ الفاضلَةُ.. والصفاتُ الحَسَنة.. التى يمثلهَا المؤْمنُ الصَّادق.

وذات يوم سئلت السَّيدةُ عائشة (رضي الله عنها):

منْ كانَ أحبُّ إلى رسُول الله (ﷺ)؟

قالت (رضي الله عنها)

– أبو بكر الصديق ثم عُمَر بن الخطاب.. ثم أبو عبيدة بن الجراح.

وقال عبدُ الله بنُ عمر (رضي الله عنهما)

ثلاثة منْ قريشٍ أصبحُ النَّاسِ وجْها.. وأحسنهم خلُقا.. وأشدُّهم حيَاءً إن حدثوك لمْ يكذبُوك - أى لم يكذِبُوا عليك - وإن حدثتهم لمْ يكذّبُوك.

أبُو بكر الصديق (رضي الله عنه).. وعثمانُ بنُ عفان (رضي الله عنه).. وأبو عبيدة بنُ الجراح (رضي الله عنه).

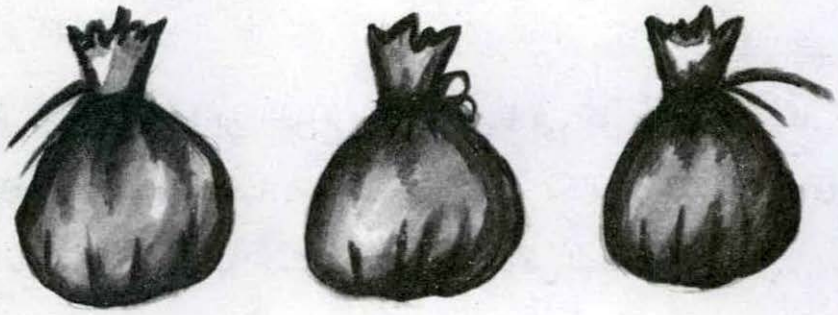

لقاء الأحبة:

ولقد فاضَت روحُ القائدُ البطلُ التقى الزاهدُ إلى بارئِهَا (عز وجل) لتلتقِى بالأحِبَّة وتفوزَ بالجنَان. وقامَ معاذُ بنُ جبل (رضي الله عنه) يصلى بالجُنْد.. ودموعُه تنهمِرُ لفقد صَاحبه ثم رثاهُ قائلاً:

(إنكم فجعتم برجُل مَا أزْعمُ واللهِ أنِّى رأيتُ منْ عبَادِ الله أقل حقْدًا.. ولاَ أبَر صدْرًا.. ولا أشدَّ حياءً للعَافية.. ولا أنصَح للعامَّةِ منْ أبى عبيدة ابن الجراح فترحَّمُوا عليه).

وتركَ أبُو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) دنيانَا الفَانية.. ورحَل إلى دارِ الخُلود عام ١٨ هجرية.. فى خلافةِ أمير المؤمنينَ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقد مَات بالأردن الأرض التى حرَّرهَا منْ ظلْم وطغْيَان (الرومَان).

وبقيتْ ذكرَاهُ العطِرَة، الخالدةُ فى التاريخ الإسْلاَمى، بالسِّيرة الطيبة، والأعمالِ العظيمة، يرحمُ الله أمينَ هذِه الأمَّة.

لا إله إلا الله محمد رسول الله

المراجع

- القرآن الكريم .
- أسد الغابة فى معرفة الصحابة – لعز الدين بن الأثير.
- معرفة الصحابة– لأبى نعيم الأصبهانى.
- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب – لابن عبد البر.
- رجال حول الرسول – لخالد محمد خالد.
- الصحابة والمجاهدون – لمحمد خالد.
- الدين والحياة – للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- وصايا الرسول – لطه العفيفى.
- عشرة من أصفياء الرسول – لصلاح عزام.
- حياة الصالحين – لعبد المنعم قنديل.
- العشرة المبشرون بالجنة – لمحمود البرشومى.
- مجلات منبر الإسلام القديمة.
- تاريخ الطبرى فى فتوحات الصحابة.